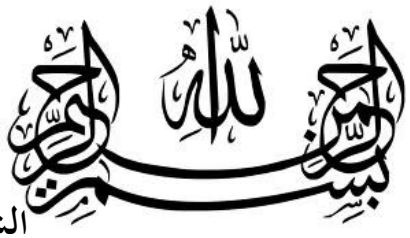

الأحد 9/2/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

آداب المضيف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

المسلمون متيقنون أن أرزاقهم بيد الله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] لكن أدباً مع الله فإنهم ينزلون إلى أعمالهم طرقاً لأسباب الرزق وتمسكاً بأبوابه.

والمسلمون قلوبهم معلقة ومتيقنة بأن الشافي هو الله تعالى وليس الطبيب ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: 80] لكن أدباً مع الله يتعالجون ويتداوون ويتناولون الدواء.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْمَوْتَ، وَالْهَرَمَ**» [الإمام أحمد وابن ماجه].

وكذلك في الفَرَج فإن قلب المؤمن معلق بالله عز وجل متيقن أنه لا يُجَلِّي ما نزل به من هَمٍّ وكرب وبلاء إلا الله عز وجل لكنه أدباً مع الله عز وجل يلتزم أسباب وأبواب الفرج.

وعلى هذا الأساس عقدت هذه السلسلة، حيث أن الله جعل لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

بدأنا في باب الضيافة ذلك لأن التعاون والتراحم والتكاتف والتناصر والمساندة والمؤازرة بين الناس باب من أبواب الفرج.

عَنْ عَبْـدِ اللَّهِ بْنِ عَمْـرٍو رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَـا قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الـرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ...» [الإمـام أحمد والترمذي وأبو داود].

جرت العادة أن الأجر من جنس العمل كما أن العقاب من جنس العمل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...» [مسلم].

أحد أنواع المعونة الضيافة وليست الضيافة التي نتحدث عليها هي تلك الساعات القليلة التي يقضيها الضيف عند مضيفه، بل نتحدث عن ضيافة الإيواء وهو تماماً ما كان العرب يقصده من مصطلح الضيافة.

(ذهب **الحنفية والمالكية والشافعية وفي رواية عن أحمد**: إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام.

والرواية الأخرى عن أحمد -وهي المذهب-: أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام. وبهذا يقول الليث بن سعد.

ويرى المالكية: وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يُبَلِّغُهُ ويخاف الهلاك) [انظر الموسوعة الفقهية الكويتية].

كما أن الإسلام أوجب الضيافة لمنقطع فهو أيضاً أوجب على الضيف واجبات، وعلى المضيف واجبات وقد تكلمنا عن ذلك ثم انتقلنا إلى آداب الضيف، واليوم مع **آداب المضيف**.

آداب المضيف هي:

1- إكرام الضيف:

إكرام الضيف عادة عند العرب من قبل الإسلام ثم جاء الإسلام ليزكيها ويُنَمِّيْهَا ويُحَسِّنُهَا ويجملها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: «...وَمَنْ كَـانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» [البخاري ومسلم].

قيل للأوزاعي رضي الله عنه: **ما كرامة الضيف؟** قال: **طلاقة الوجه وطيب الحديث** [إحياء علوم الدين].

وقديماً قالوا: **من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة.**

وقد جعل العرب الحديث والبَسْطَ والتأنيس والتلقي بالبشر من حقوق القِرى وتمام الإكرام.

قال الهيثم بن عدي: امترى ثلاثة في الأجواد فقال رجل: أسخى الناس عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس في عصرنا هذا قيس بن سعد بن عبادة، وقال الثالث: أسخى الناس عرابة الأوسي.

فتلاحَوا وأفرطوا وكثر ضجيجهم في ذلك بفناء الكعبة فقال لهم رجل: قد أكثرتم فلا عليكم يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ينظر ما يعطيه ونحكم على العيان.

فقام صاحب عبد الله بن جعفر فصادفه وقد وضع رجله في غرز راحلته يريد ضَيْعَةً له فقال له: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستو على الناقة وخذ ما في الحقيبة ولا تحد عن السيف فإنه من سيوف علي بن أبي طالب، وامض لشأنك، قال: فجاء بالناقة والحقيبة فيها مطارف خَزٍّ وفيها أربعة آلاف دينار وأعظمها وأَجَلُّها خطراً السيف.

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فلم يصادفه وعاد فقالت له الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار، ما في دار قيس مال في هذا اليوم غيره وامض إلى معاطن الإبل إلى مولانا بغلامينا فخذ راحلة مرحلة وما يصلحها وعبداً وامض لشأنك، فقيل: إن قيساً انتبه من رقدته فخبرته المولاة بما صنعت فأعتقها وقال لها: ألا أنبهتني فكنت أزيده من عروض ما في منزلنا فلعل ما أعطيته لم يقع بحيث ما أراد.

ومضى صاحب عَرابة الأوسي إليه فألفاه وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين وقد كُف بصره فقال: يا عرابة، قال: قل ما تشاء، قال: ابن سبيل ومنقطع به، قال: فخلى عن العبدين ثم صفق بيده اليمنى على اليسرى ثم قال: أوه.. أوه.. والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق لعرابة من مال ولكن خذهما -يعني العبدين- قال: ما كنت بالذي

أفعل أَقُصُّ جناحيك، قال: إن لم تأخذهما فهما حُرَّانِ، وإن شئت فأعتقْ وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما وجاء بهما.

قال فحكم الناس على ابن جعفر قد جاد بمال عظيم وإن ذلك ليس بمستنكر له إلا أن السيف أجلها، وأن قيساً أحد الأجواد حَكَّمَ مملوكةً في ماله بغير علمه واستحسانه ما فعله وعتقه لها وما تكلم به، وأجمعوا على أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي؛ لأنه جُهْدُ من مُقِلٍّ [تاريخ ابن عساكر].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُغْشَى، مِنَ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ» [ابن ماجه].

هذا الأمر مجرب فإذا ضاق بك أمر، أو اشتد بك كرب، أو كانت بك عسرة، أو كان لديك مريض ترجو شفاءه، أو طالبٌ ترجو نجاحه... فلتجرب أن **تطعم الطعام في بيتك فإطعام الطعام سر عجيب**.

ليس من الإكرام التكلف أو بذل ما لا تطيق بل ابذل ما تطيق عليه.

2- ترك المنة عليهم والبعد عن مطالبتهم بالمثل:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264].

ليس من الأدب مع الضيف أن تَمُنَّ عليه بما تفعل، أو تشكو إليه غلاء الأسعار، وصعوبة العيش هذه الأيام...

كان ضيفٌ يأكل على مائدة مضيفه، فقال المضيف: انتبه على شعرة في لقمتك، فقال الضيف: أتراقبني حتى رَقَبْتَ الشعرة في لقمتي، لا والله لا أؤاكلك أبداً.

3- الصبر على الأذى منهم وخاصة من الأولاد: فالأولاد لا يستطيعون الانضباط كما ينضبط الأولاد.

4- دوام البِشْرِ والترحيب ما استطاع: فالضيوف ضيوف الله.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:** «مَنِ القَوْمُ؟ -أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟-» **قَالُوا:** رَبِيعَةُ. **قَالَ:** «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، -أَوْ بِالوَفْدِ-، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى» [البخاري ومسلم].

وقال أنس رضي الله عنه: (**كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة**) [إحياء علوم الدين].

كلما تعاونا وتكاتفنا وتراحمنا مع بعضنا كلما اقتربنا من الفرج أكثر، وما آثر كل منا نفسه ولم يأبه إلى من حوله بعد نظر الله إلينا؛ لأن هذا الدين مبني على الجماعة فمهما استطعنا أن نتساعد ونتكاتف ونتعاون ونتراحم فهذا باب من أبواب الفرج.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

الحمد لله رب العالمين.